صداقة النساء

كتاب اخلاقي اجتماعي عربناه عن الانكليزية لنشره تباعاً في الحسنا

تابع صفحة ٣٤٨

حدث مرّة ان عربة اليت انقلبت وسائقها متغافل عنها فتعطلت العربة ولحسن الطالع لم يكن احد من افراد العائلة فيها فلما سمعت مدام دي ستال بالحادثة لم تمهل بالامر بادئ بدء ولكنها بعد برهة قصيرة صرخت فجأة اواه ياربي لو كان والدي العزيز في العربة وقت سقوطها اما كان تحطم جسمه وترضضت اعضاؤه وما انهت صراخها حتى خرجت مسرعة الى السائق المرتجف خوفاً وحيرة واخذت ترشقه بحجارة التهديد والوعيد لاهماله واجباته وعدم حذره ولما توفي والدها سقطت في بحار الحزن الشديد ولم تخلع البسة الحداد عليه الا حينما اخذت تنشر مناقبه الحميدة وتذيع اوصافه الحسنة واستمالت الناس لكي يشاركوها في مدحه وتعداد سجاياه واخلاقه الحسنة وبقيت ثلاث عشرة سنة بعد موت ابيها وذكره لم يبرح لحظة عن خاطرها فكان اسمه دوماً على شفتيها وصورته في دماغها وكثيراً ما كانت ترددهذه العبارة « ان والدي ينتظرني على الشاطئ الثاني » وامثلة كثيرة كهذه تظهر لنا قيمة كنوز المساعدة والفرح التي تستخرجها صداقة الوالدين واولادهم من قلوبهم وهذه الامثلة تعلمنا ان نحفل بها ونقدرها قدرها ونعلق عليها اهمية كبرى وان نجتهد باخلاص في تدريب نفوسنا بموجب سننها الصالحة ونواميسها المباركة

صداقة الاخوة والاخوات

هنا تعمل الظروف والمحيط معاً على زيادة العوطف الرقيقة واحياء المحبة الصادقة وعلى قتل نتائج طول الالفة التي منها الفور والبغضة فعلاقة الاخ والاخت التي ورثاها عن والديهما واماهما واميالهما المشتركة لهي من اقوى الروابط الجامعة بينهما والمنتجة صداقة ثابتة وحينا ينميا سناً واختباراً يظهر في طباعهما فروقات واختلافات من شأنها انتاج لذة وسرور في اتحادهما لان التباين والاختلاف من الامور الجديدة لها طلاوة مرغوب فيها تطرد الملل وتحل اللذة محله

حكي عن فتاة اشتهرت بذكائها الغريب وهي بعد فتاة صغيرة السن فالفت كتابين من افضل الكتب ومات في ربيع حياتها فظن بعضهم ان ذكاءها سبب موتها) جاء في ما كتبته «ايتها العاطفة الكائنة بين الاخ واخته العاطفة المباركة والفائقة كل عاطفة ومحبة والمازجة اطهر محبة وجدت على الارض بخمر المحبة السماوية الملائكية فلا محب حقيقي كالاخ والاخت اللذان اتقدا رواحهما حنواً فاحبا محبة حقيقية»

جاء في احدى الروايات ما ياتي : كان لاريوس اخت جميلة المنظر احبها كثيراً فكان كلٌ يرى ذاته في الآخر كما يراها في مرآة قبل انه بعدما لعبت بها يد المنون وامسى تائهاً في البراري والقفار وفي الاودية وعلى الجبال وعلى ضفاف المياه تسيل دموعه كالمطر الهتان ولا تساعد زفراته واناته من فؤاد يتقد لهيباً راى خياله في تلك الامكنة فظن لاول وهلة ان ذلك الخيال هو جسم اخته فاتصل الى ان احبه واخذ يقتفي اثره الى ان نحل جسمه وفني هيكل عظامه وتبعها الى عالم الخيال والموت

اننا لا نرى في التاريخ كله ما يضاهي صداقة اورستوس واخته اليكترا خفيها عنصر الهي ومعنى لا يزول ومثلها صداقة اينيجون وبوليبسز التي سهر عليها الاله ابولو واخته الاهة ديانا المتمثلان في الطبيعة بشكل الشمس والقمر كما اعتقدوا

ايفيجينا كاهنة طوريس وهي تندب اخاها طلبت الى الالاهة ديانا لاجل الشفقة والمساعدة قائلة « لانك انت يا ديانا (القمر) تحبين ايضاً اخاك اللطيف (الشمس) محبة تفوق وصف سكان السماء والارض وتعطفين بشوق زائد بوجهك الجميل الى نوره الابدي »

مثال آخر على مثل هذه العلاقة المدعمة بكمال عظيم وحرارة زائدة قدمه القديس بنديكت والقديسة سكولاستيكا اللذان عاشا في القرن السادس عشر حيث يذكر عن تكريس هذين في احدى الحكايات الدينية قيل انهما اتفقا ان يلتقيا في بقعة تقع في منتصف الطريق الموصلة بين مقرّيهما الكائنين احدهما على جبل كستينو والآخر على بلامباريولا فكانا يصرفان الليل كله في الحديث الروحي والمخابرة عن الافراح السموية وبعدما مرّت ثلاثة ايام على اجتماعها الاخير مات اسكولاستيكا فبقي القديس بنديكت في معبده الخاص يصرف ليله ونهاره في التأمل والافتكار حتى انه وهو على تلك الحال رأى مرة نفس اخته طائرة نحو السماء بصورة حمامة فاسرع وجاء بجسد الاخت واجرى الطقوس عليه ووضعه باحترام وخشوع في القبر الذي كان قد اعده لنفسه

وكانت صداقة طاسو مع اخته كورنيليا موضوع اعجاب الناس حواليها فكثيراً ما صورهما المصورون ورسموهما وتغنى بمدحهما الشعراء والمغنون ورووا ان طاسو هرب مرة من فرّارا مشوهاً جسمه ومجروحاً مغموماً فاتى ليتمتع بمحبة اخته وصديقته القديمة التي هجرها مدة طويلة فاتاها متنكراً بهيئة راع واخذ يسرد لها

قصة اخيها المحزنة والمؤثرة فاغمي عليها لفرط ما الم بها من الغم والالم الشديدين ولما استفاقت كشف نفسه لها وعرفها بذاته فلما تحققته اندفع كلٌ منهما الى الآخر وتعانقا وعاد الى المحبة كالاول

كان في ناقار فتاة جميلة تدعى مارغريت اشتهرت بجمالها الرائع ولطفها الغريب ومروءتها العظيمة وبمحبتها لاخيها فرنسيس الاول ملك فرنسا . فلما اسر اخاها تشارلس الخامس ملك الاسبان وجاء به الى مدريد عاصمة اسبانيا مرض فرنسيس مرضاً كاد يودي بحياته وهو لا يزال في الاسر فلما علمت مرغريت بما الم باخيها اسرعت وتحملت اخطاراً واهانات جمة الى ان وصلت اليه واخذت تمرضه وتعتني به وتسري عنه عناء المرض وتهديد ملاك الموت الى ان شفي ثم تعرّفت الى اخت تشارلس واغرتها سراً على ان تخطبها الى اخيها فرنسيس وهكذا انقذته من مخالب الموت وكانت هي التي حملت اخاها على تشييد صروح العلم ومباني الفنون والربوع التذكارية لاهل العلم والفنون ولما مرض اخوها مرضه الاخير كانت هي في مكان بعيد جداً فاخذت تسير اليه وصارت عندما تشعر بتعب شديد تجلس على حجر في الطريق وترمي بنظرها الى الجهة التي قصدتها علها ترى ساعياً قادماً من قبل اخيها وفي تلك السياحة المضنية قالت « آه انني اعد نفسي ان اقبل الساعي الذي ياتيني ببشارة سلامة اخي وشفائه من مرضه الخبيث انني اقبله ولو كان مضنىً قذراً خائراً واعده كاحسن شاب في المملكة » ولما علمت بموته اعتل جسمها وتبعته الى دار البقاء ومن المحزن ان محبة فرنسيس لها لم تكن بقدر عشر محبتها له اجل انه احبها ولكنها كعادة تلك الايام عاملها معاملة سيد اقطاعي وليس معاملة اخ شفوق مع انها كانت اهلاً لان تعطى كرامة عظيمة